قبة مسجد حمو القدو في مدينة الموصل

في العصر العثماني

أ.م.د.فاروق محمد علي

هادي محمد محمود الجبوري

قبة مسجد حمو القدو في مدينة الموصل في العصر العثماني

أ.م.د.فاروق محمد علي

هادي محمد محمود الجبوري

المقدمة:

تميزت مدينة الموصل بكثرة آثارها وفي مقدمتها المساجد الجامعة، ونظراً لتقادم الزمن والإهمال والتخريب أحيانا، وخشية تعرض تلك الآثار إلى التغير والزوال الذي أصاب بعض عمائرها، الامر الذي حدا بي وحفزني إلى تناول احد العناصر العمارية لتلك المباني فضلا عن الكثير من القباب قد تعرضت للهدم، وما تبقى معرض للانّهيار، وذلك لعدم اجراء الصيانة اللازمة لها وتقادم الزمن على بنائها، لذا جاءت الدراسة معتمدة على الدراسة الميدانية بشكل اساس وأخذ الصور والقياسات اللازمة لها وعمل الرسوم والمخططات الهندسية والاشكال الخاصة بكل قبة لتكون سجلاً توثيقياً هدفه الأساس الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي.

مسجد حمو القدو[١] الجامع (١٢٩٨هـ_ ١٨٨٠م)

يقع المسجد في محلة الميدان الكائنة في الجهة الشرقية من مدينة الموصل القديمة عند راس الجسر بين محلة الزنكنة[٢] وسوق النجارين[٣]، كان مسجداً صغيراً فوق قبر الشيخ علاء الدين[٤] أحد الرجال الأتقياء ، جاء عنه ((له مشهد قديم من بناء الملوك المتقدمين، قريباً من ميدان القلعة[٥]،

في المحلة الشهيرة بمحلة الزنكنة، وعنده مسجد تقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة[٦])) وقد سعى الى انشائه الحاج عبد الله جلبي بن محمد بن عبد القادر المعروف بحمو القدو سنة (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) على أنقاض مسجد قديم[٧]، عند مشهد الشيخ علاء الدين بن سراج الدين احد علماء الموصل وفقهائها[٨]،الواقع تحت ارض المسجد داخل سرداب ينخفض بنحو ثلاثة أمتار عن مستوى صحن المسجد ومصلاه الخارجي، وقد الحق الحاج عبد الله جلبي مدرسة دينية في صحن المسجد الجامع من جهته الشرقية والمطلة على مدخل المسجد لتدريس العلوم المختلفة[٩].

جددت بعض اقسام المسجد سنة (١٣٩٠هـ _١٩٧٠م) منها القبة موضوع الدراسة اذ حدث صدع في القبة وعلى مر السنين مما أضطر المتولي إلى هدم المئذنة وأكمل هدم القبة المزدوجة ورقبتها وقد حلت محلها قبة مفردة خالية، وأشرف على العمل حسيب جلبي بن عبد القادر جلبي[١٠]، ولا يزال هذا المسجد قائما ومحتفظا بكافة عناصره العمارية والفنية وريازته الإسلامي.

التخطيط العام للمسجد

بُني مسجد حمو القدو الجامع على ارض مستطيلة منتظمة الشكل طول. اذ بلغت مساحة ارض المسجد الكلية (١١٣,٠٤م^{٢})، ويتكون المسجد من بيت الصلاة الشتوي يتقدمه رواق صيفي ثم الصحن تحيط به المدرسة من الشرق، ويُنفذ الى مصلى المسجد عن طريق ثلاثة مداخل رخامية (مخطط_١_).

يتألف بيت صلاة مسجد حمو القدو من مركز وسطي (بلاطة المحراب) وجناحين يمثل كل منهما البلاطة اليمنى واليسرى (مخطط_١_)، وبهذا فانه

مثال للنمط العماري الذي شاع في مساجد الموصل في اثناء العصر العثماني إذ رأيناه سابقا في المساجد سالفة الذكرمن حيث احتوائه على مركز وجناحين . ويمثل بيت الصلاة شكلا مستطيلا طوله من الداخل (١٥,٧٠م)، وعمقه (٧,٢٠م) (مخطط ١).

يتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات أوسعها البلاطة الوسطى و اسكوبين متماثلين في القياس طول كل منهما (١٥,٧٠م) وعمقهما (٣,٢٥م) بوساطة كتفين مثمني الشكل(مخطط_١_) (لوح_١_) من الرخام مقصوصة الأركان إلى الأسفل، اذ امتازت بوجود تموجات على هيئة خطوط دقيقة بيضاء اللون أضفت على البدن سمة من الجمال.

بلغ قياس كل ضلع منهما (٠،٣٢م) وارتفاعهما (٢,٤٠م) وقد نحتت هذه الأكتاف من قطع عدّة من الرخام المضلع الشكل ويتألف كل كتف من قاعدة مربعة الشكل طول كل ضلع (٠،٩٥م) ارتفاعها (٠،١٠م) وفوق القاعدة يقوم بدن مضلع مثمن الشكل يتألف من قطع عدّة من الرخام ارتفاعه (٢,٢٠م) يعلوه حدارة مربع ارتفاعه (٠،١٠م)، يعلوهما عقدان مدببان من المرمر (لوح_٢_) من كل جهة بلغت سعة العقدين الواقعين على الاسكوب الأول والقائم على جدار القبلة (٣,١٠م) أما سعة العقدين الواقعين على الاسكوب الثاني، والقائمين على الجدار الشمالي (مؤخرة بيت الصلاة) للبلاطة اليسرى (٣,١٠م) كذلك، وأجزاء من الدعائم بلغ عددها (٦) دعائم مدمجة مع الجدران الأربعة لبيت الصلاة اثنتان مثبتتان في الجدار الجنوبي القبلي لبيت

الصلاة تحفّان بالمحراب والمنبر تقابلها دعامتان مثبتتان في الجدار الشمالي (جدار مؤخرة بيت الصلاة) تحفّان بالمدخل الوسطي ، فضلا عن دعامة واحدة تتوسط الجدار الغربي لبيت الصلاة تقابلهما وتماثلهما دعامة أخرى من الجدار الشرقي للبلاطة اليسرى، تبرز جميع الدعامات بنحو (١٠،.م) عن مستوى الجدران المدمجة معها، نفذت بهذه الضخامة لكي تقدر على تحمل الضغط الواقع عليها من العقود التي تحمل القبة (شكل_١_).

اما قياس البلاطات، فالوسطية (بلاطة المحراب) اوسع من البلاطتين الجانبيتين يبلغ طول البلاطة الوسطى (٧,٣٠م) وعرضها (٧,٢٠م) لتتخذ بذلك شكلاً مربعا (مخطط_١_)، والمغطاة بقبة نصف كروية من الداخل (شكل_١_)، ويقع في جدار القبلة المحراب الرئيس وعلى يمينه المنبر أما في جدار مؤخرة بيت الصلاة فيقع المدخل الوسطي (الرئيس).

أما البلاطة اليمنى الملاصقة للجدار الغربي لبيت الصلاة فبلغت مساحتها (٤,٢٠م× ٧,٢٠م) (مخطط_١_) وقد قسمت قسمين بوساطة عقد مدبب الشكل موازٍ لجدار القبلة سعته (٤م) وعمقه (٩٥،.م) وقد خلا المسجد من محراب الحنفية في حين يتوسط الجدار الشمالي لبيت الصلاة مدخل البلاطة اليمنى، وليست هناك نافذة على جانبيه .

إما البلاطة اليسرى الملاصقة للجدار الشرقي لبيت الصلاة فبلغت مساحتها (٤,٢٠م× ٧,٢٠م) (مخطط_١_) وهي مشابهة ومماثلة للبلاطة اليمنى من حيث المساحة والقياس والعناصر العمارية القائمة فيها.

القبة:

وهي العنصر العماري الأساسي في المسجد تغطي البلاطة الوسطى الرئيسة (بلاطة المحراب) نفذت بصورة مركزية على بيت الصلاة. وبما ان القبة الأصلية قد هدمت لذلك سنعتمد في دراستنا إيّاها الصور المحفوظة لدى مديرية اثار الموصل.

ان قبة بيت الصلاة الأصلية كانت من القباب الجميلة المزوقة المبنية على طراز قباب المساجد التي بنيت قبلها بقرون في الموصل، تتألف من قبتين يفصل بينهما فراغ، الاولى (الداخلية) وهي نصف كروية وقد شيدت القبة بالجبس لذا يمكن عدّ هذه القبة زخرفية لا تقوى على مقاومة عوامل المناخ القاسية في الشمال لذا عمد المعمار الى تغطيتها بقبة ثانية تاركاً فراغاً واسعاً بين القبتين (لوح_٣_)، (وهذه الظاهرة نلحظها لاول مرة في مسجد النوري الجامع). والثانية التي فوقها هي نصف كروية ايضاً، معقودة بالأجر ومزوقة بزخارف هندسية من الخارج (لوح_٤_)، تبدأ القبة برقبة دائرية يعلوها اطار بارز قليلا من الآجر وضع بحيث يكون شريطاً مسنناً يدور حول قاعدة القبة تعلوه القبة التي تميل نحو الداخل ، تضم فتحة مدخل المئذنة (لوح_٤_) ويصعد اليها من ممر يكون بين القبتين يؤدي الى السلم الحلزوني في المئذنة[١١]، ويبدو ان القبة مشيدة بالآجر والجص وكانت مغطاة بآجر مزجج مستطيل الشكل.

ويعلو قمة القبة كرات صفت بشكل عمودي تعلوها هلال متجه بأتجاه القبلة، وهو بمثابة البوصلة الروحانية التي ترشد المؤمنين إلى استقبال القبلة[١٢].

وقد أصاب التصدع بدن هذه القبة مما اضطر المتولي ان يهدمها الى مادون مستوى الرقبة (الواح_٦٧_٦٨_)، وقام ببناء قبة محلها مع رقبة مضلعة وذلك سنة (١٣٩٠هـ_١٩٧٠م)، وأشرف على العمل حسيب جلبي بن عبد القادر جلبي زكريا[١٣] .

والقبة الحالية تغطي مساحة مربعة تقريباً أبعادها (٧,٣٠م×٧,٢٠م) محمولة على جدارين شمالي وجنوبي ، وهذان الجداران اصليان كما بينا سابقاً سوى بعض الترميمات التي أجريت عليها من اصلاح وطلاء من دون التأثير في مخططها او شكلها الاصلي اما من الجانبين الشرقي والغربي فتسند القبة على كتفين مثمني الشكل (لوح_١_) كل واحدة من جانب (شكل_١_) يبلغ قياس كل منها (٣٢،.م×٨) تحمل عقدين من كل جانب يعلوها جدار ارتفاعه (١م) (لوح_٢_) يحيط بالجهات الاربع شريط كتابي (لوح_٥_) بالخط الكوفي نصه (بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من امن بالله___ في بيوت يرفع اذان الله).

وتتكون منطقة انتقال القبة من أربع حنايا ركنية (شكل_١_)، (لوح_٦_) معقوده بعقد مدبب تعلوه عقود زخرفية مفصصه تتكون من ثلاثة فصوص على الزوايا الاربعة محمولة على انصاف من الاعمدة الزخرفية المدمجة بالجدران (لوح_٧_)، وتقوم عقود الحنايا الركنية على الجدران مباشرة من دون وجود قاعدة لاطرافها او أعمدة محدده لها مشيده من (عشر) قطع رخاميه مكونة عقوداً مدببة صغيره نسبيا اذا ما قيست باطوال اضلاع القاعدة المربعة وحجم القبة لذا فأنها كونت من وضعها على القاعدة المربعة مثمناً غير منتظم الأضلاع، وقد اثرت هذه الحنايا الركنية في مظهر قاعدة القبة من

الداخل والخارج كما سنأتي على ذلك، هذا ولا وجود لمنطقة انتقال واضحة المعالم من القاعدة المربعة الى القاعدة الدائرية، وبعد ان يتحول المربع الى مثمن غير منتظم بوساطة الحنايا الركنية يبدأ الجزء المستحدث من القبة وهو مضلع الشكل من (اثني عشر) ضلعاً و(ستة) دعامات مدمجة بالجدران تبرز بنحو (١٥،.م) عن الجدران الملتصقة بها (شكل_١_) ، في حين يقل سمك الجدران في هذه المنطقة ،تبدأ بالميل نحو الداخل حتى يأخذ غطاء القبة من الداخل شكله التام (شكل_١_) .

والقبة تبدو من الداخل على شكل نصف كرة مكسوة بالجص زينت بزخارف ملونة باللونين الازرق والاسود .

وتضاء القبة بـ(سبع) نوافذ ثلاث نوافذ فتحت في المنطقة المشتركة بين المربع والمثمن (لوح_٧_) من جهاتها الثلاث، ارتفاع كل نافذة (١م) وسعتها (٤٥،.م)، تعلوها حنية محارية ويعلو المحارة عقد مدبب (لوح_٧_) يرتكز على اعمده زخرفية مدمجة مع الجدران ويعلو العقد المدبب عقد مفصص من ثلاثة فصوص يرتكز على اعمده زخرفية مدمجة مع الجدران (شكل_١_) ، والغرض من هذه النوافذ هو التهوية وإدخال النور إلى داخل بيت الصلاة طوال النهار وتخفيف الثقل عن الجدران .ما عدا الجهة الشمالية التي يقع فيها المحفل البارز فوق المدخل الوسطي(الرئيس) لبيت الصلاة (شكل_١_) وهو معمول من الخشب (لوح_٨_) وهي الطريقة الشائعة في مساجد الموصل من العصر العثماني .

ويُدخل إليها من غرفة صغيرة في سطح المسجد تنتهي بعقد مدبب يبلغ ارتفاعه (١,٧٥م) وسعته (١,٩٠م) مبطن من الداخل بالمرمر يفضي إلى المحفل يعلوه عقد زخرفي مفصص ولها نافذة في جدارها الشمالي يبلغ ارتفاعه (١,٤٠م) وسعته (٠,٩٥م) ومدخل من الجهة الغربية يبلغ ارتفاعه (١,٨٠م) وسعته (٠,٩٥م). اما الجزء المضلع المستحدث فضمّ (أربعة) نوافذ قياس كل نافذة (٠,٣٠م×٠,٣٠م) (لوح_٧_).

اما القبة من الخارج فأنها قائمة على قاعدة مربعة طول كل ضلع (٨,١٠م) وارتفاعها (١,٥٠م) (لوح_٩_) مشيدة بالآجر يعلوها مثمن غير منتظم الجوانب ارتفاعه (١,٦٠م) واطوال اضلاعه مختلفة فطول اضلاعه القائمة (٣م) في حين ان طول اضلاعه المائلة وهي التي تغطي ظهر الحنايا الركنية (٢,١٠م) (شكل_٢_) وهذا الاختلاف ناتج عن صغر الحنايا الركنية في الزوايا بالقياس الى طول ضلع المربع ، هذا وقد فتحت وسط كل ضلع في المنطقة المشتركة بين المربع والمثمن نافذة مستطيلة يعلوها عقد منبطح ما عدا الجهة الشمالية التي تقع فيها غرفة يدُخل منها الى المحفل، ويعلو هذا المثمن مضلع مستحدث من (اثني عشر) ضلع طول كل ضلع (١,٦٠م) وارتفاعه (١,٥٠م) (لوح_٩_)، تعلوه قاعدة اسطوانية تميل نحو الداخل يعلوها يأخذ مقطعها الرأسي شكل عقد منبطح قليل التدبب (شكل_٢_)، ومن الصور نلحظ ان هذا الجزء كان دائرياً يعلوه اطار بارز قليلا من الآجر وضع بحيث يكون شريطاً مسنناً يدور حول قاعدة القبة ، المغطاة بآجر مزجج .

وقد شيدت القبة بالآجر والحجارة المكسوة بالجص، بينما شيدت عقود الحنايا الركنية بقطع رخامية، وبأمكاننا تقدير ارتفاع القبة من الارض وحتى القمه بـ(١٢م)[١٤].

الخاتمة:

امتازت بعض المساجد الجامعة في مدينة الموصل في العصر العثماني بطراز من القباب مزدوجة التركيب ، كما في قبة مسجد حمو القدو الجامع ذات الغطائين ، غطاء داخلي ، وغطاء خارجي ، وبين الغطائين فراغ واسعٌ ، وعرف هذا الطراز في العراق في مدينة الموصل فحسب دون غيرها ، وهو المثال الرابع بعد مسجد النوري الجامع.

الهوامش:

(١)_**حمو القدو** : تعد اسرة حمو القدو من الاسر المعروفة في الموصل ، تعود أصولها إلى عشيرة العبادة العربية من السادة (الحسينيين) ، وكان أول من عرفته الموصل من هذه الأسرة هو التاجر مصطفى قصاب باشي وخلفه ابنه عبد القادر المقلب بـ(قدو) الذي اعقبه أولاده من بينهم محمد الملقب بـ(حمو) ومن هنا جاءت التسمية ، وقد قامت هذه الأسرة بتشييد عدد من العمائر في الموصل منها المسجد الذي عرف بمسجد حمو القدو الجامع وذلك في سنة(١٨٨١م) ، فضلا عن خان كبير في سوق باب السراي ،فضلاً عن ذلك تشييده عدداً من الدور السكنية في المدينة ؛ للمزيد من التفاصيل . ينظر : النحاس، زهير علي احمد :تاريخ النشاط التجاري في الموصل بين الحربين

العـالميتين(١٩١٩_١٩٣٩)، رسـالة دكتـوراه (غيـر منشـورة)، كليـة الاداب، جامعـة الموصل، ١٩٩٥، ص١٤٨ .

(٢)_ **الزنكنة:** نسبة الى قبيلة كردية سكنت في الزقاق الذي فيه المسجد، فغلب اسمها عليه ولم يزل يعرف بزقاق الزنكنة ؛ الديوه جي : جوامع ، ص٢٨٦.

(٣)_**سوق النجارين:** من أسواق الموصل القديمة التي تعود بتاريخها إلى حدود القرن الهجري الأول بداية الفتح الإسلامي لمدينة الموصل ولا يزال قائما ومحتفظا بتسميته وخصوصية مهنته وحرفته النجارة اذ تباع فيه الاخشاب، للمزيد راجع، الأزدي : المصدر السابق، ص٢٤، ١٩٧، ٢٤٨؛الديوه جي : خطط ، ص٢٦٦.

(٤) _ **علاء الدين** : هو ابن الشيخ سراج الدين بن الشيخ عبد القادر الكيلاني(رحمه الله) ، الديوه جي: جوامع ،ص٢٨٦. ويذكر العمري عنه قال أنه كان رجلاً صالحاً من قطان الموصل ، وفي تواريخ الموصل ورجالها ذكر علاء الدين كثيراً ، فهو من بعض فضلاء الموصل ، وقبره قريب من القلعة ، يزار ويتبرك به ، وفي تلك المقبرة كثير من الرجال الصلحاء أندرست معالم قبورهم وانطوى ذكرهم. فهو لا يؤيد أن علاء الدين من أبناء الشيخ عبد القادر الكيلاني ، و أنه يذكر أنه كان بجوار قبره مقبرة دفن فيها كثير من الرجال الصلحاء . وعلى مر العصور درست قبورهم ، وبني مسجد صغير عليها ، وبقى قبر علاء الدين في سرداب تحت مصلى المسجد . ولا ندري من الذي بنى المسجد المذكور ومتى بُني ؟؛ العمري : منهل الأولياء ، ص٢٠٥ ؛ الديوه جي : المصدر نفسه ، ص٢٨٦_٢٨٧.

(٥)_ **القلعة** : هي ايج قلعة_ القلعة الداخلية_ وأمامها الميدان التي بنى عليه سوق الميدان فيما بعد؛ الديوه جي : جوامع ، ص٢٨٦

(٦)_ المصدر نفسه ، ص٢٨٩.

(٧)_ سجل الحجج والوقفيات ، ص١٧٥؛ العلي بك : المصدر السابق، ص١٨١، ٥٧٠ ؛ الديوه جي : تاريخ الموصل ،ج٢ ، ص٢٤٥.

([٨])_العمري : منهل الأولياء ، ص٢٠٥؛ الخياط : المصدر السابق ، ص٧٤.

([٩])_ العلي بك : المصدر السابق ، ص٢٥٠– ٢٥١ ؛ الديوه جي : جوامع ، ص٢٤٥.

(١٠)_ الديوه جي : المصدر نفسه، ص٢٨٩.

(١١)_ الديوه جي : جوامع ، ص٢٨٩.

(١٢)_ طيب ، عبدالله يوسف :الخصائص المعمارية للمأذن في عمارة المساجد، ملخصات بحوث ندوة الموصل ، منشورات مركز دراسات الموصل، الموصل ، ٢٠٠٠م، ص٣.

(١٣)_ الديوه جي : جوامع ، ص٢٨٩

(١٤)_ في زيارة ميدانية لمسجد حمو القدو الجامع ، بتأريخ ٢٠١٤/٣/٣٠.

قائمة المصادر:

١. النحاس، زهير علي احمد :تاريخ النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين (١٩١٩_١٩٣٩)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٩٥.

٢. الديوه جي، سعيد: جوامع الموصل في مختلف العصور ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٣م.

٣. الديوه جي ، سعيد: خطط المدينة ، موسوعة الموصل الحضارية ، الموصل ، ١٩٩١.

٤. الازدي ، أبي زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ) : تاريخ الموصل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، دار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٥. العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب(ت١٢٠٣هـ): منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٧م.

٦. سجل الحجج والوقفيات :دائرة الاوقاف العامة الموصل ، سجل رقم(٥) ،مديرية أوقاف الموصل ، ١٩٣٥م.

٧. العلي بك ، منهل إسماعيل حسن : تاريخ الخدمات الوقفية في الموصل ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦م.
٨. خياط، جعفر: صور في تاريخ العراق في العصور المظلمة ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٧١.
٩. طيب، عبدالله يوسف :الخصائص المعمارية للمأذن في عمارة المساجد، ملخصات بحوث ندوة الموصل ، منشورات مركز دراسات الموصل، الموصل ، ٢٠٠٠م.
١٠. في زيارة ميدانية لمسجد حمو القدو الجامع ، بتأريخ ٢٠١٤/٣/٣٠.

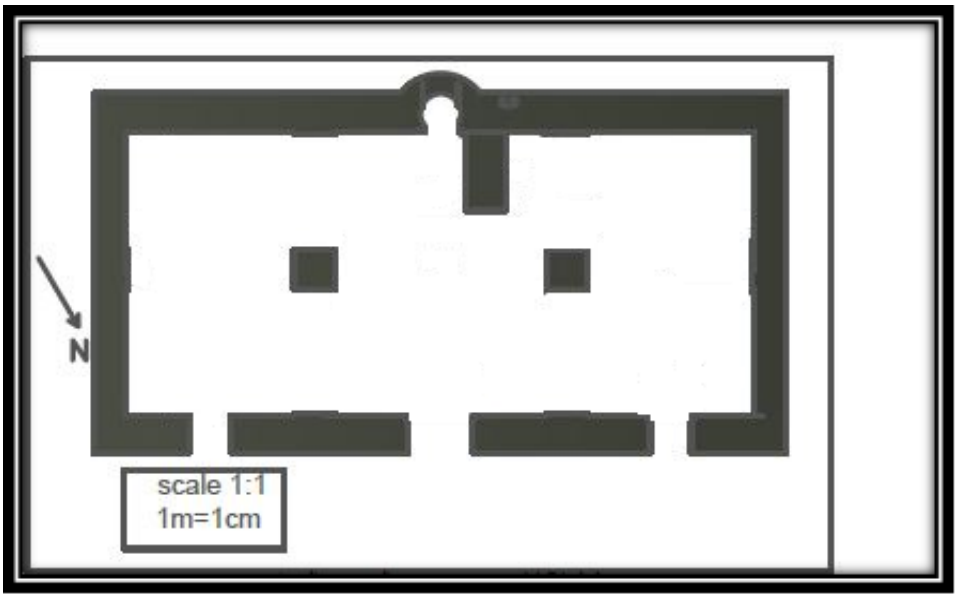

مخطط (١) مسجد حمو القدو الجامع (رسم الباحث)

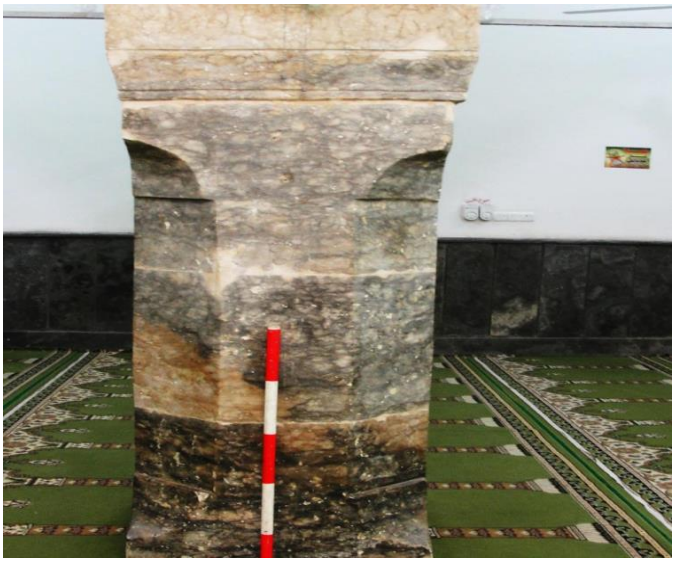

لوح(١) أحد الأكتاف المثمنة التي تحمل العقود الحاملة للقبة

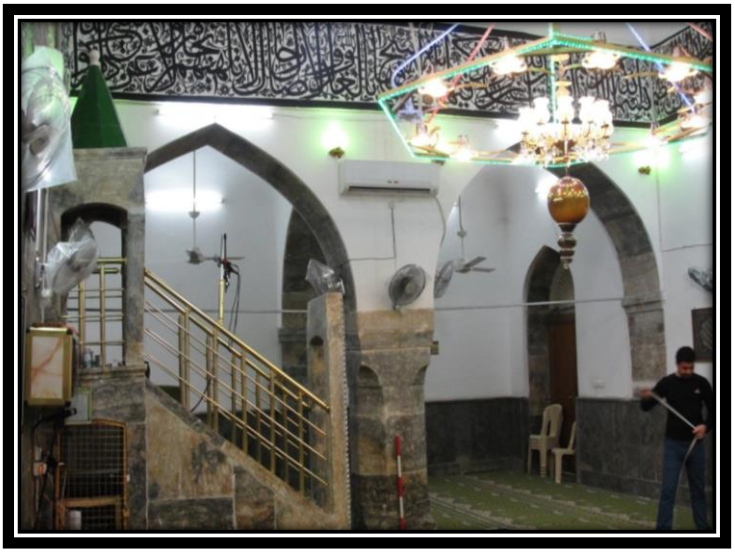

لوح(٢):جانب من العقود الحاملة للقبة مسجد حمو القدو الجامع

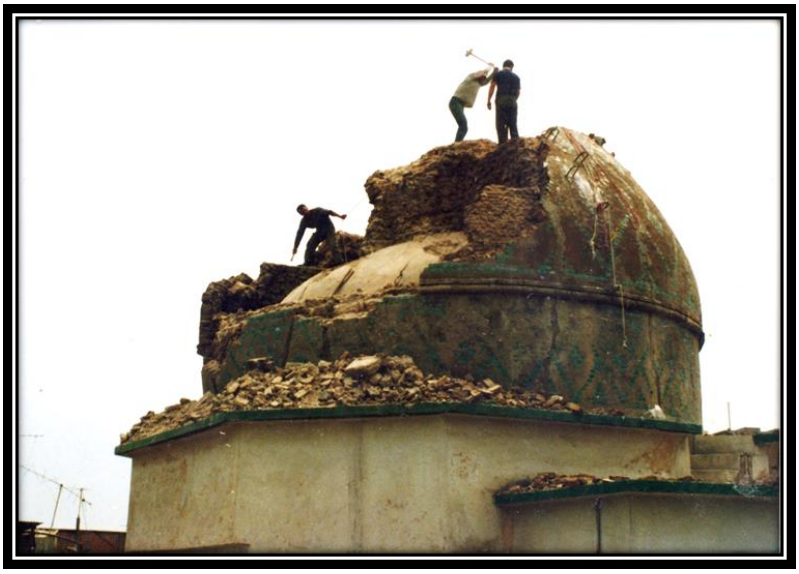

لوح(٣): قبة مسجد حمو القدو الجامع أثناء الهدم

لوح(٤):زخارف قبة مسجد حمو القدو الجامع

لوح(٥): الشريط الكتابي على قاعدة قبة مسجد حمو القدو الجامع

لوح(٦):إحدى الحنايا الركنية للتحويل القاعدة المربعة إلى المثمن لقبة مسجد حمو القدو الجامع .

لوح(٧): العقود الزخرفية تعلو الحنايا والنوافذ تعلوها محاره في القبة

لوح(٨): محفل قبة مسجد حمو القدو الجامع

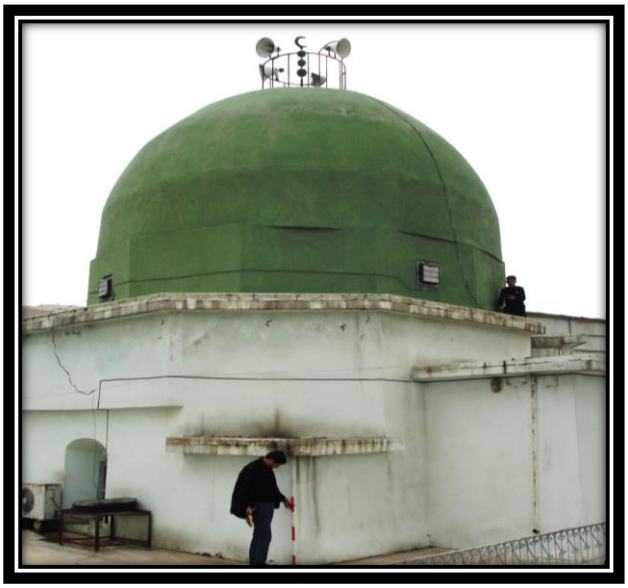

لوح(٩): مناطق انتقال قبة مسجد حمو القدو الجامع من الخارج

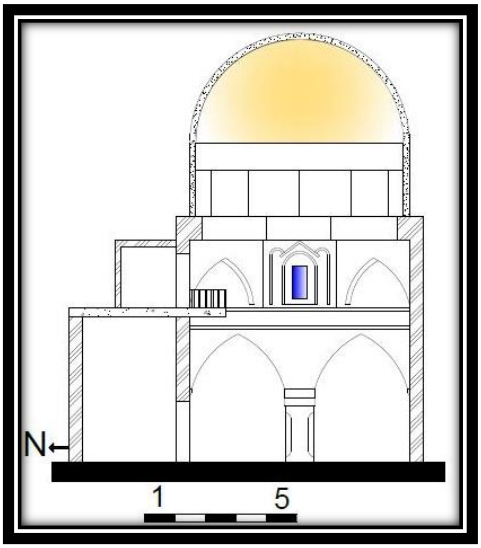

شكل(١): مقطع رأسي لقبة مسجد حمو القدو الجامع

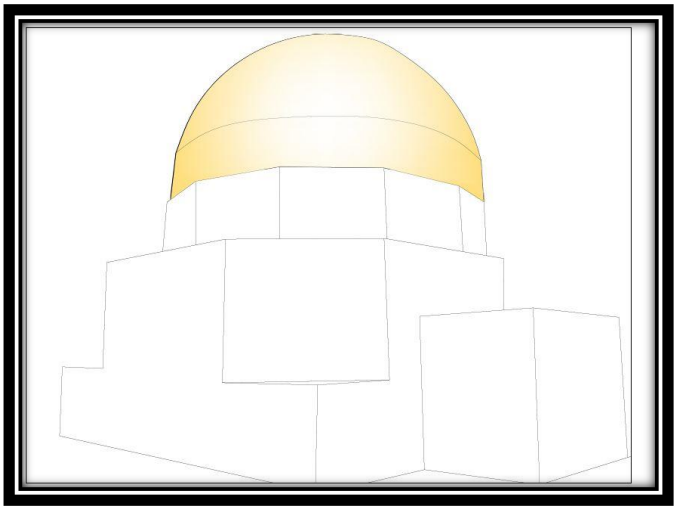

شكل(٢): مناطق انتقال قبة مسجد حمو القدو الجامع من الخارج